بسم الله الرحمن الرحيم

بحث بعنوان :

الأثر القرآني في شعر التيجاني يوسف بشير

(دراسة تأصيلية)

د. محمد عبد الله سليمان
أستاذ الأدب والنقد
كلية اللّغة العربية
جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ملخص البحث

الحمد لله حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين .

وبعد

فإن موضوع هذا البحث يتلخص في أنّه يقدم دراسة تأصيلية للأثر العميق الذي تركه القرآن الكريم في شعر التيجاني يوسف بشير من حيث الأساليب ، والمعاني ، والمضامين ، والصور ، وكيف استفاد الشاعر من هذه الأساليب والمعاني القرآنية ووظفها في خدمة بناء قصيدته الشعرية فجاءت قصيدته جزلة ، متينة ، سلسة ، عميقة ، ويرجع كل ذلك إلى البيئة القرآنية التي نشأ فيها الشاعر ، واهتمت بالقرآن الكريم وتحفيظه مما حفز الشاعر للارتباط بالقرآن ، وقد أحدث ذلك أثراً بالغاً في تشكيل قاموسه الشعري ، وذخيرته اللغوية ، والأسلوبية ، مما جعله يمتلك طاقة تعبيرية وتصويرية هائلة مكنته من صياغة شعره بطريقة أسلوبية متميزة ، ولاغرو في ذلك لأن القرآن هو المنبع الصافي ، والبيان الوافي ، بل هو أعلى قمة لغوية وبلاغية على الإطلاق .

وتشتمل هذه الدراسة على ثلاثة مباحث هي : المبحث الأول ـ حياته وثقافته ، والمبحث الثاني ـ ارتباطه بالقرآن الكريم ، والمبحث الثالث ـ أثر القرآن الكريم في شعره .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة

الحمد لله الذي أنزله : (قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ)[٢٦١] أي بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان[٢٦٢]والصلاة والسلام على أفصح العرب أجمعين وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين . وبعد فإن هذا البحث يتناول (الأثر القرآني في شعر التيجاني يوسف بشير _ دراسة تأصيلية) ، فمن خلال قراءتنا لديوان (إشراقة) تبين لنا أنّ القرآن قد ترك أثراً عميقاً في لغته، وأجوائه، ومضامينه الشعرية ، ولاغرو في ذلك فالتيجاني حفظ القرآن في سن مبكرة ،ونشأ في عائلة الكتياب التي اشتهرت بإنشاء الخلاوي لتعليم القرآن الكريم ، وأراد الباحث بهذه الدراسة أن يؤصل لهذا الأثر الذي تركه القرآن في شعر التيجاني ، وقد تناول النقاد شعره بالدراسة من زوايا مختلفة ،ولم يتركوا شاردة ولا واردة، ولكنهم بحسب علمنا لم يأتوا على هذا الجانب الذي نحن بصدد دراسته .

أهمية البحث :وتتمثل في الآتي :

١. أنّه يُعنَى بدراسة الأثر الذي تركه القرآن الكريم في شعر التيجاني يوسف بشير .
٢. و أنّه يتناول شاعراً يمتلك طاقة تعبيرية وتصويرية عالية ، وقدرة بيانية فائقة ، كان للقرآن القدح المعلى في تشكيلها .

أهداف البحث : وتتمثل في الآتي :

١. يبيّن مدى استفادة الشاعر التيجاني من القرآن الكريم ، وأساليبه اللغوية ، والبيانية ، وانعكاس ذلك على شعره.
٢. إثراء الدراسات التي تؤصل للأدب العربي من الكتاب ، والسنة .

مشكلة البحث : تتمثل في الآتي :

١. يتطرق هذا البحث إلى جانب لم يتناوله النقاد ، والباحثون من قبل في شعر التيجاني ، وهو أثر القرآن في شعره .
٢. تُعنَى هذه الدراسة بتلمس واستنباط الأثر القرآني في شعر التيجاني من حيث ، الأسلوب ، والتعابير، و المضمون، و الأجواء

([٢٦١]) سورة الزمر ، الآية ٢٨

([٢٦٢]) ابن كثير ، تفسيرالقرآن ، مكتبة بيت السلام ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، ج٤ ، ص ١٦١٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القرآنية، والألفاظ القرآنية البارزة ، وتكثيف الصورة ، و الصورة اللونية .

الدراسات السابقة :

بحسب علمنا لاتوجد دراسات سابقة لهذا الموضوع .

منهج البحث : اتبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي.

الصعوبات التي واجهت الباحث :

على الرغم من أن النقاد والباحثين قد تناولوا التيجاني تناولاً موسعاً وفي موضوعات مختلفة غير أنهم لم يتناولوا "الأثر القرآني في شعره ". مما جعل الباحث يواجه صعوبات جمة في هذا الجانب أحوجته إلى بذل الجهد ،وكد الفكر ، وإمعان النظر.

هيكل البحث :تناول الباحث هذه الدراسة في ثلاثة مباحث ، وهي على النحو التالي :

المبحث الأول _ حياته وثقافته : ويشتمل على :

١. مولده ونشأته .
٢. تعليمه وثقافته .
٣. حياته العملية .
٤. آثاره الشعرية والنثرية.

المبحث الثاني _ ارتباط التيجاني بالقرآن الكريم : ويشتمل على الآتي :

أ _ في الخلوة . ب _ في المعهد العلمي .

المبحث الثالث _ الآثر القرآني في شعره : وقد تناوله الباحث فيما يلي :

١. في الأسلوب.
٢. في التعابير.
٣. في المضمون.
٤. في لأجواء القرآنية.
٥. في ألفاظ قرآنية بارزة.
٦. في تكثيف الصورة .
٧. في الصورة اللونية .

الخاتمة والمصادر والمراجع .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول

حياته وثقافته

مولده ونشأته:

ولد أحمد التيجاني بن يوسف بن بشير الكتيابي ، بحي الركابية بأم درمان ، بمنزل كائن بالقرب من شارع كرري ، ويجاور حي المسالمة. اختلف المؤرخون لحياة التجاني في تاريخ ولادته ، فمنهم من قال أنه ولد سنة ١٩١٠ [٢٦٣] ومنهم من قال أنه ولد سنة ١٩١٢[٢٦٤] وقد أشار الدكتور عبد المجيد عابدين إلى أن التيجاني " توفي سنة ١٩٣٧ بعد أن قضي من العمر خمسة وعشرين عاما تقريباً " [٢٦٥] وبهذا ينضم إلى القائلين بأنه من مواليد سنة ١٩١٢، وقد كتب والد التجاني وثيقة [٢٦٦] بخط يده بين فيها أن التيجاني ولد في١٠ ربيع الأول ١٣٣٠هـ ، ووجدنا أنه يوافق ٢٨ فبراير ١٩١٢ . وبهذا يرجح الباحث أن التجاني من مواليد سنة ١٩١٢م . ." نشأ هذا الفتى الشاعر متوقد الذاكرة حاد التصور ذكيا حفظ القرآن يافعا ، وطلب العلوم بمعهد أم درمان العلمي وبرز في ناحية الأدب . وأشتهر به هذه الشهرة وهو بعد كما ترى من حداثة السن وأخذ في الاشتغال بالصحافة وأجاد فيما انصرف إليه من ضروب الخطابة الحقة ، ماجعله اليوم أكثر استعداداً للبحث والمناظرة والحديث ساعات في أدق المواضيع

---

(٢٦٣) * هنري رياض ، التيجاني يوسف بشير شاعرا وناثرا ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، ص ، ١٨.

* التيجاني يوسف بشير ، إشراقة ، مطبعة التمدن بالخرطوم ، ط ، ٤ سنة ١٩٦٤ (تعريف بحياة الشاعر العظيم) ص، ٣

(٢٦٤) *محمد عبد الرحيم ، نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع ، شركة الطباعة والنشر الخرطوم ، سنة ١٩٣٦ ، ص ٢٢٣ .

*محمد عبد الحي ، بكرى بشير ، التيجاني يوسف بشير ، السفر الأول ، الآثار النثرية الكاملة ، مطابع راي لميتد ، سنة

١٩٧٨ ، " نبذة عن حياة التيجاني يوسف بشير " ، الغلاف الأخير .

* إبراهيم التكينة ، التيجاني يوسف بشير أضواء على حياته ، ط ١ ، نوفمبر ١٩٧٥ ، ص ، ١٤ .

(٢٦٥) د. عبد المجيد عابدين ، التيجاني شاعر الجمال ، ط ٣ ، سنة ، ١٩٦٢ ، ص ، ٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأعمقها بلغة يتمنى الكثيرون أن لو كان لهم منها شيء وهم يكتبون "[٢٦٧]

وأسرة الكتياب التي ينتمي إليها الشاعر هي فرع من الجعليين الذين سكنوا حول شندي ، وهي من تلك الأسر المعدودة في هذه المنطقة التي وجهت عنايتها منذ قديم إلى التعليم الديني وإنشاء الخلوات " الكتاتيب " . هاجرت أسرة التيجاني من موطنها القديم بين الكتياب إلى أم درمان ، كما هاجرت إليها بعض أفراد الكتياب وأنشأوا في أم درمان بعض الخلوات لتحفيظ القرآن " [٢٦٨]

ففي هذه البيئة الصالحة نشأ التيجاني ، وترعرع في أسرة فاضلة ذات تعاليم وتقاليد ، وعرفت بحب العلم والورع والتصوف ، ونشر العلوم الدينية .

تعليمه وثقافته :

حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة في خلوة عمه عبد الوهاب الكتيابي ثم التحق بالمعهد العلمي ودرس فيه علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية وقد سأل هنري رياض عن ثقافة التيجاني صديقه محمد عبد القادر كرف فأملى عليه مايلي : " كان التيجاني أثناء دراسته في المعهد ، يدمن الاطلاع في الكتب الأدبية والتاريخية وكتب المتصوفة . ومن أشهر الكتب التي قرأها ، كتاب، " الملل والنحل " لابن الفتح محمد عبد الكريم أبي بكر أحمد الشهرستاني ، "والرسالة القشيرية " لأبي القاسم عبد الكريم هوازن ، "والحكم " لابن عطاء الله السكندري وكان لهذه الكتب ، وغيرها أثر بعيد في إرهاف حسه ، مما أضفى على أسلوبه ذلك الغموض الذي يبدو هنا وهناك في بعض تعابيره وخاصة في قصائده :

([٢٦٦]) محمد عبد الحي ، التيجاني يوسف بشير الأعمال النثرية الكاملة، الوثائق ، ص ، ١٧٧ محمد عبد الرحيم ، نفثات اليراع ، ص ٢٢٣

([٢٦٧]) محمد عبد الرحيم ، نفثات اليراع ، ص ٢٢٣

([٢٦٨]) عبد المجيد عابدين ، مقدمة ديوان إشراقة ، مطبعة التمدن بالخرطوم ، ط ، ٤ سنة ١٩٦٤، ص ٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"قلب الفيلسوف "و " الله " و "أنبياء الحقيقة " و" الصوفي المعذب " [٢٦٩] " والتيجاني كواحد من الشعراء المتعمقين في اللغة في عصره كان يداوم على قراءة القاموس المحيط حتى كاد أن يحفظه " [٢٧٠]

وقرأ التيجاني ثقافة وأدب محيطه العربي ، " وكان التيجاني دائم الاطلاع على المجلات المصرية ، مثل البلاغ الأسبوعي ، والمقطم والهلال والمجلة الجديدة وأبولو وعلى آخر منتجات الفكر العربي عامه والمصري خاصة " [٢٧١]

وكان للجمعيات الثقافية أثر في تشكيل ثقافة التيجاني يقول الأستاذ حسن نجيلة في دراسته " التيجاني كما عرفته " : " نشأت جمعيات القراءة في المنازل واشتهرت بعض أحياء أم درمان بها ، وكانت ذات أثر بعيد في حياتنا الأدبية ، وفي تيارات النهضة الوطنية عندما قدر لها أن تبرز إلى حيز الوجود بعد أن كانت تحضر وتعد سراً في الخفاء ، وكنا نلتقى في جمعيات القراءة هذه

كل من الزملاء الذين يشعر بالتقارب الفكري معهم .. وكانت في أم درمان جمعيتان مشهورتان إحداهما في " الهاشماب " والأخرى في "أبي روف " يلتف حولهما عدد كبير من شباب ذلك الجيل كان لأكثرهم أثر بارز في تاريخنا الوطني فيما بعد ، وكنت أسمع من بعض أصدقائي عن جمعية أخرى لبعض شباب المعهد العلمي تجتمع في دار خلوة الكتيابي بأم درمان قوامها ثلاثة من شباب المعهد هم ، التيجاني يوسف بشير ، ومحمد عبد الوهاب القاضي ، ومحمد عبالقادر كرف المدرس بالمدارس الثانوية والشاعر المعروف[٢٧٢]

---

(٢٦٩) هنري رياض ، التيجاني يوسف بشير شاعرا وناثرا ، ص ، ٣٠.

(٢٧٠) نقلا عن جاد الله الطاهر النذير ، التيجاني يوسف بشير حياته وعصره –وشعره ، قائلا " هكذا روى لى الشيخ أحمد عبد الرازق زميل التيجاني في المعهد " ص ١٢٧

(٢٧١) هنري رياض ، المرجع السابق ، ص، ٣١

(١) حسن نجيلة ، دراسات في شعر التيجاني ، التيجاني كما عرفته ، ص ، ٩، ، ١٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حياته العملية :

كان التيجاني مرهف الإحساس يحس كل شيء بعاطفة الشاعر ، ومن ذلك مشاعره تجاه أسرته التي كانت تعاني مرارة الفقر ، وتعيش الكفاف والده صانع وبائع أحذية بسوق أم درمان يكسب عيشه بشق الأنفس ليلبي بعض ضرورات الحياة لأسرته ، " وكان التيجاني يقيم مع والده في منزل من الطين ، مكون من عدة غرف ، كأكثر بيوت أم درمان ... ولم يكن بمنزل والده مواسير للمياه ، ولعلها لم تتصل بمنزله إلا بعد أن عم انتشارها عام ١٩٣٢ تقريباً ، كذلك لم يكن به تيار للنور الكهربائي ، فكان لكي يواصل التيجاني قراءته ليلاً ، يجلس وضوء لمبة صغيرة بجانبه ، كانت تشترى بمليم واحد . وقيل أنه لطالما واصل القراءة ، حتى يفرغ غاز اللمبة ليترك دخانها القائم أثراً على جبهته" [٢٧٣] هذا الوضع الأسرى جعل التيجاني يستشعر المسؤولية تجاه عائلته ، ويدرك أنها في حاجة لمعونته المالية وهو طالب في المعهد العلمي ،مما جعله وهو في تلك السن الباكرة أن " يلتحق بالجريدة التجارية عام ١٩٣١ ليعمل مصححاً بها وكاتباً لبعض المقالات النقدية والأدبية ، تلك التي أصدرها المرحوم سليمان داود منديل عام ١٩٢٨، والتي

أضحت تسمى " ملتقى النهرين " منذ صدور العدد رقم ١٦٠ بتاريخ ٣٠/٣/ ١٩٣١ ولم يكن يتقاضى أول الأمر إلا أجراً رمزياً على جهده في التصحيح ، وأنه لما ظل يعمل بملتقى النهرين حتى عام ١٩٣٢، لربما تقاضى أجراً أسبوعياً لا يتجاوز خمسين قرشا وكان العمل بالجريدة التجارية وملتقى النهرين يوجب عليه الحضور إلى الخرطوم ، في الصباح الباكر ،على ألا يعود إلى منزله إلا بعد الثالثة ظهراً " [274] وعمل في شركة سنجر بعد أن ترك العمل بجريدة ملتقى النهرين " التحق بالعمل في شركة سنجر " فرع أم درمان " وكان يتقاضى أجراً أسبوعياً قدره أربعين قرشاً . وكان عمله هو تحصيل قيمة الماكينات من المشترين . ورغم أنك تجد اسم التيجاني يوسف بشير في سجلات الشركة ، إلا أنك لا تعثر على ملف خدمته ، فقد عبثت به أيدي الضياع ، ولكن موظفي الشركة يرجحون أنه عمل بها عام ١٩٣٣لمدة لا تتجاوز العام " [275]

---

(٢٧٣) هنري رياض ، التيجاني شاعرا وناثرا ، ص ٤٦.

(٢٧٤) هنري رياض ، المرجع السابق ، ٤٧ .

(٢٧٥) * هنري رياض ، المرجع السابق ، ٤٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد عانى التيجاني من البطالة المباشرة تارة والمقنعة تارة أخرى ، " ثم التحق التيجاني بجريدة النيل عام ١٩٣٥ في وظيفة مصحح . بأجر أسبوعي لايتجاوز خمسين قرشاً. ولكنه لم يستمر كثيراً في وظيفته الأخيرة . ويخيل إليّ أن البطالة قد ظللته بجناحيها مرة أخرى ، لفترة غير قصيرة ، حتى التحق في منتصف سبتمبر ١٩٣٦ بمجلة أم درمان ، التي أصدرها المؤرخ محمد عبد الرحيم ، وعين التيجاني محررا بها ولكن لم يقم التيجاني إلا بتحرير ستة أعداد فحسب" [٢٧٦] اتفق المؤرخون والمترجمون للتيجاني على أن تاريخ وفاته كان في سنة ١٩٣٧ بداء الصدر يقول هنري رياض " التيجاني يوسف بشير توفى سنة ١٩٣٧ ، بعد أن قضى من العمر خمسة وعشرين عاماً تقريباً ، ظهر فيها نبوغه ، وخلف لنا مجموعة قيمة من الشعر ، قام على نشرها نفر كرام ، أحسنوا صنعاً بإذاعة هذا الشعر على الناس " [٢٧٧] .

آثاره الأدبية

ديوان إشراقة :

عرف بعض الأدباء والشعراء والنقاد في مصر والسودان مكانة التيجاني الأدبية منذ أن كان ديوانه (إشراقة) مخطوطة لم تطبع بعد ، وهذا ما سجله الدكتور الشاعر إبراهيم ناجي في " مهرجان ذكرى شاعر السودان التيجاني يوسف بشير " الذي أقامته لجنة التأليف والترجمة الحديثة بمصر ، بنادي نقابة الصحفيين بالقاهرة يوم ١٤ مايو ١٩٤٦ تكريماً للنبوغ والعبقرية ، وإحياء لذكرى نابغة الشرق الشاعر العبقري التيجاني يوسف بشير ، وقد ألقيت في الحفل كلمات وبحوث قيمة ومهمة نشرتها لجنة التأليف والترجمة في كتيب ، يقول الدكتور إبراهيم ناجي : " زارني

---

* عبد المجيد عابدين ، مقدمة ديوان إشراقة ، ص ٧

(٢٧٦) هنري رياض ، التيجاني شاعرا وناثرا ، ص ٥١

(٢٧٧) هنري رياض ، التجاني شاعرا وناثرا ، ص ٣٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحد أصدقائي الشعراء الممتازين ومال علي وسلم إليّ كراسة صغيرة فيها شعر مخطوط ، وهمس في أذني أن في هذه الكراسة شعراً نادراً ... فأخذته منه وفي نفسي ارتياب.. ولكني ما كدت أقرأ بيتين حتى أغلقتها باحترام إلى حين ، منتظراً أن أخلو بها وليس بيننا ثالث ! ... وفعلاً خلوت بها ذات ليلة إلى مطلع الفجر ... وتكررت تلك الليلة .. أجل تكررت : والشعر العبقري ... متعة وسحر ودوار وخيال ، وظمأ ثم ري ، ثم ظمأ وسفر مع النجوم ، وانتقال إلى اللانهاية ، ورحيق لا ينسى وعبق ينصب في ذاكرة الروح ... غير أن أصحابها الأصليين جاءوا لاسترداد وديعتهم فماطلت حتى هؤلاء ... وانهالت علي الخطابات من مصر والسودان ... فأحياناً كنت أدعي أنها فقدت وأحياناً أداور ثم لنت أخيراً بشرطين الأول أن أحاضر عن التيجاني في النادي السوداني والثاني أن أكتب مقدمة لديوانه فلا الأول ولا الثاني أراد الله أن يكون .. وصدر ديوان إشراقة ثم بزغ ثم اختفى ، وتخاطفته أيد قليلة..." [٢٧٨]

وديوان " إشراقة " هو المرجع الوحيد الذي يعتمد عليه الباحثون في شعر التيجاني وهو ديوان شعر جمعه التيجاني في حياته وكتب عليه الجزء الأول مما يؤكد لنا أن التيجاني كان ينوي إصدار أجزاء أخرى من " إشراقة " " فنسخ الجزء الأول منه وقدمه سنة ١٩٣٤ [٢٧٩]

حسب قانون المطبوعات وقد علق عليه إدوارد عطية مدير المخابرات بهذه العبارة الموجودة في المخطوطة التي عند والد الشاعر " رخص بالطبع للمؤلف وليس هذا الترخيص بمانع للمسؤولية التي يشترك فيها الطابع

([٢٧٨]) إبراهيم ناجي ، مهرجان ذكرى شاعر السودان التيجاني يوسف بشير ، " هذا هو التيجاني " القاهرة ١٤ مايو ١٩٤٦ ، ص ٢١

([٢٧٩]) كتب عليه " إشراقة " الجزء الأول ... وهو يتضمن سبعا وخمسين قصيدة حسب ترتيب الطبعة الثانية تبدأ بقصيدة قطرات

ص ١ ، وتنتهي بقصيدة مدامع ومجامر ص ٧٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمؤلف حالة ما إذا جدد أو زيد في الكتاب ما يكون له مساس بجانب الحكومة وهذا طبق قانون المطبوعات الجديد " [٢٨٠]

ولم يطبع الديوان ويقال أن السبب يرجع إلى أن التيجاني أضاف إليه قصائد جديدة عن مصر فمنع طبعه ، ولكن الباحث يرى أن السبب الذي وقف حائلاً دون طبعه هو ضيق ذات اليد .

وقد توفي التيجاني ١٩٣٧ وفي نفسه حسرة ، لأن ديوانه لم يطبع ، فقد كان يمنى نفسه أن يرى ديوانه مطبوعاً ، حتى يتأكد أن هذا الأدب الرائع قد كتب له الخلود ، ووجد مكانه في نفوس الناس، ولكن أقدار الله شاءت أن لا يرى الديوان النور إلا في سنة ١٩٤٢ ، في طبعته الأولى على " نفقة الأستاذ علي البرير بمعاونة أو مساهمة من محمد محمود جلال، الذي قدم الطبعة الأولى ويغلب على الظن أن الطبعة الأولى لم تكن تتجاوز ألفي نسخة ، وزع أكثرها بمصر ، ووزع القليل منها بالسودان" [٢٨١]

آثاره النثرية :

لقد ترك التيجاني آثارا نثرية في العديد من الصحف في عصره ، وقد جمع الدكتور محمد عبد الحي نثر التيجاني المبعثر في هذه الصحف في كتاب سماه " ، التيجاني يوسف بشير ، الآثار النثرية الكاملة " وقد كان لنثر التيجاني دلالات ثقافية واجتماعية وسياسية ، أما فيما يتعلق بالدلالات الثقافية فإنه يعبر عن إيمان التيجاني العميق في تطوير الإنسان وتغيير المجتمع والانتقال به نحو النهضة والرفعة والسمو ففي مقالاته النثرية توجيهات صائبة ، وحوارات عميقة ، ونقد متجدد ، ومعلومات ثرة يستفيد منها القارئ ، وأفكار ممتعة أهم ما يميزها عنصر الجدة
والابتكار والاستنارة العقلية والثقافية التي يتمتع بها التيجاني ويدل بحثه " في المستوى الشعري للأمم " على إلمام واسع بآفاق الشعر محلياً وعربياً وعالمياً وعلى اطلاع متأن في الأدب العربي ، وعلى أكثر ما ترجم من الآداب العالمية فتجده ملماً إلمام الحاذق الخبير بهذه الآداب فتجده

---

(٢٨٠) جاد الله الطاهر النذير، التيجاني حياته وشعره وعصره ، رسالة ماجستير مخطوطة ، ص ١١

(٢٨١) هنري رياض ، التيجاني شاعرا وناثرا ، ص ٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحلل ويرسم السمات العامة لكل أدب منها في دقة ، ويبدى ملاحظاته عل الأدب العربي الحديث في مصر وسوريا وعلى الأدب العالمي في فرنسا وإنجلترا والهند واليونان وغيرها ويدل هذا على ملاحظاته الدقيقة للاتجاهات الشعرية العامة بين الأمم المختلفة . ومن الدلالات الاجتماعية لنثره مقاله " الكسكتة " إنه يعالج قضية اجتماعية هي انجراف الشباب وراء العادات والتقاليد الغربية وتركهم لتراثهم الوطني وموروثهم الاجتماعي في الزي " يتميز كل شعب بميراثه الخاص من كل شيء سيما الأزياء إذ كانت هي التي تجسم عزة الأمة وذاتيتها تجسيماً حقيقياً وتهبها بعض الاستقلال والحرية التي يشاء الله أن يفقدها هذا البلد في كل جانب "[٢٨٢] أما دلالات نثره السياسية فموزعة بين موضوعات عديدة في نثره منها "ضرورة الوحدة الأدبية بين مصر والسودان " حيث يقول " والآن لقد بلغ الإنجليز ما أرادوا . وضربت يد الغدر والمطامع على كل شيء ، حتى لتوشك أن تضرب على النيل فلا يعود يعرف أين تكون مصر "[٢٨٣]

([٢٨٢]) التيجاني يوسف بشير ، الكسكتة ، مجلة أم دزمان ، ١٨٣

([٢٨٣]) التيجلني يوسف بشير ، مجلة الرسالة المصرية ، العدد ٧٨ ، مارس ١٩٣٥ ، ص ٣٤٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني

ارتباط التيجاني بالقرآن الكريم

ارتبط التيجاني بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً منذ طفولته الباكرة ، حيث أنه نشأ في بيت علم ودين فكان للخلوة والمعهد العلمي أثرهما الكبير في توطيد هذه العلاقة .

أ ــ في الخلوة :

التحق التيجاني بخلوة عمه الشيخ عبد الوهاب القاضي الكتيابي ، ليتلقى فيها دروسه الأولى في القراءة والكتابة ، وقد حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة (٢٨٤)، وكانت الخلوة معبداً له يقضي فيها جل وقته ، يتوجه نحوها منذ الصباح الباكر ، يدغدغ عينيه ، متبرماً ، ساخطاً ، حانقاً ، وقد ضاقت نفسه ، وبكى قلبه ، يجرر رجليه متثاقلاً في الذهاب إليها ، " ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن كل من درس في الخلوة أو الكُتّاب ، يجد في قصيدته "الخلوة "مرآة لنفسه في أيام دراسته الأولى "(٢٨٥) والتي يقول في مطلعها :

هب من نومه يدغدغ عينيه مشيحا بوجهه في الصباح (٢٨٦)

وتكاد تشتم رائحة الدواة (٢٨٧) المميزة وهي تضمخ ثوبه ، وتروى رأسه ، بعبيرها الفواح في قوله :

ضمخت ثوبه الدواة وروت رأسه من عبيرها الفواح (٢٨٨)

وصورة شيخ الخلوة المرسومة في ذهن كل طالب درس فيها، هوذلك الرجل، المهيب ، الجاد ، الذي يعاقب الطالب على كل كبيرة وصغيرة ،ولا تفوته شاردة ولا واردة ، هذا الحزم الذي تتطلبه ظروف مهنتة حتى تتحقق الجدية المطلوبة التي تنجز

---

(٢٨٤)هنري رياض ، التيجاني شاعرا وناثرا ، ص ١٩

(٢٨٥)هنري رياض ، المرج السابق ، ص ١٩

(٢٨٦) التيجاني يوسف بشير ،ديوان اشراقة دار الجيل بيروت لبنان ط٨ ، سنة ١٩٨٧ ، ص ، ٧٣.

(٢٨٧) هي المداد الذي يكتب به الطالب في الخلوة ، و تصنع من المادة السوداء التي تعلق بصاج العصيدة ، فيحكها الطالب ويضيف إليها قليلا من الماء والصمغ العربي والشعر وجودتها يتحكم فيها الطالب بحسب خبرته في صناعتها ، وقلمها من فصوص القصب يبريه الطالب بطريقة معينة ويكتب به على (اللوح) الذي يصنع من الخشب .

(٢٨٨) التيجاني يوسف بشير ،ديوان اشراقة، ص ، ٧٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهدف ، ولكن هذا الحزم من الشيخ يزرع نوعا من الخوف ، في نفس الطالب ، مما يجعله في حالة توتر دائم ، وفي حالة ارتباط نفسي دائم بالخلوة حتى ولو كان خارجها ، ونظرة التيجاني النافذة إلى أعماق شيخة وقراءة ما خفي من مناحيه لهي تعبير صادق عن هذه الحالة ، ولم يجد التيجاني لفظا مناسبا يستخدمه ليصف به شيخه إلا لفظ " الجبار " :

ورمى نظرة إلى شيخه الجبار مستبطناً خفي المناحي
نظرة فسرت منازع عينيه ونمت عما به من جراح [٢٨٩]

وانظر إليه وهو يرسم صورة لزملائه وقد أصاب نفوسهم الإعياء ، والرهق وهم مرتكزون على ألواحهم ، وقد أخذتهم سنة قصيرة سرعان ما قطعها صوت الشيخ القاصف، المدوي، المرزم الصاخب،فتستعيد النفوس صحوها ، فتعود الأصوات من جديد تهمهم بآي الذكر الحكيم :

ونفوس سجى الكرى في حواشيها ودب الفتور في الأرواح
فارجحنت مهومات وماتبرح مركوزة على الألواح
كلما لفها النعاس وأضفى فوقها عالما ندي الجناح
قصف الرعد في المكان ودوى مرزما صاخبا قوي الصياح
فاستفاقت وهيمنت بعض أشيا ء وعادت وعاد قصف الرياح [٢٩٠]

ولكن برغم ذلك فإن التيجاني تنتابه حالة من الحنين الدافق إلى أيام " الخلوة " ، وتتوق نفسه إلى ذكراها ، فذكريات الخلوة صور غراء من الماضي الحبيب إلى نفسه يعيشها بكل تفاصيلها الدقيقة ، فكل ما يربطه بالصبا عنده جميل :

حبذا خلوة الصبي ومرحى بالصبا الغض من ليال وضاح

(٢٨٩) التيجاني يوسف بشير ،المرجع السابق ص ، ٧٣

(٢٩٠) التيجاني يوسف بشير ،المرجع السابق، ص، ٧٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صور الصبا الأغر موشا ة بأحلامه وضوء الصبـاح

يدفق البشر من مفاتن دنيا ها وتفتر عن سنا وضـــاح [٢٩١]

ب ــ في المعهد العلمي

بعد أن حفظ التجاني القرآن الكريم في خلوة عمه الشيخ الكتيابي ، التحق بالمعهد العلمي [٢٩٢]بأم درمان سنة ١٩٢٦ ، وكان الدارس في المعهد آنذاك يتلقى العلوم الدينية ، واللغة العربية ، ولم تكن العلوم الحديثه من مقررات المعهد ، " ولابأس من إلقاء نظرة عابرة على الكتب المنهجية التى درسها التجاني في السنوات الخمس التي قضاها في المعهد ، ومن ذلك التوحيد ، العقباوية والخريدة ، ثم السنوسية الصغرى فالجوهرة ، والفقه ، الصفتي والعزية وأقرب المسالك ، أما النحو فالأجرومية والأزهرية وقطر الندى والألفية شرح ابن عقيل ، والصرف ، الظرف في علم الصرف ، وصرف الألفية ، أما السيرة النبوية ، فسيرة ابن هشام ، والسيرة النبوية للشيخ محمد هارون ، والبيان رسالة الدرديري ، ثم السمرقندية ،أما الأدب فدراسات عامة لكل العصور ... والحساب ضرورة أملتها الحاجة الماسة لهذا الفن في تقسيم المواريث وبالتالي فطالب المعهد لابد أن يعرف الكسور والنسب المئوية من عمليات الضرب والطرح

---

(٢٩١) لتيجاني يوسف بشير ،المرجع السابق، ص، ٧٤

(٢٩٢) أُنشئ المعهد العلمي في أم درمان سنة ١٩٠١ لتدريس العلوم الدينية في جامع أم درمان ولكنه بدأ نهضته الحقيقية سنة ١٩١٢ عندما تولى رئاسته الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم، وكان الشيخ أبو القاسم عندما عين شيخا للعلماء خلفا للشيخ محمد البدوي أقنع الحكومة ببناء مسجد جديد ، ومعهد ديني يلحق بالمسجد على قطعة أرض موقوفة تحيط بالمسجد القديم بأم درمان هذا المعهد أطلق عليه (المعهد العلمي) وجعلت منهج التدريس فيه تابعة لمناهج الأزهر . ومراحل التعليم في هذا المعهد هي ثلاثة : الأولية والوسطى والعالية ، تمنح في كل منهما شهادة دراسية . فالأولية أربع سنوات يحصل بعدها الطالب على الشهادة الأولية وهي فترة يقضيها الطالب في غير المعهد ؛ والمرحلة الوسطى أربع سنوات أخرى يحصل بعدها على الشهادة الأهلية ؛ والمرحلة العلياء مدتها أربع سنوات يحصل بعدها على الشهادة العالمية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والقسمة " [٢٩٣] وقد كان المعهد في ذلك الوقت يضم المدرسين المتخصصين[٢٩٤] في الفروع المختلفة .

ولذلك نهل التيجاني قسطاً وافراً من العلوم الأدبية ، وصادف ذلك هوى في نفسه الميالة أصلاً إلى الأدب والعاشقة له فسيطر الجانب الأدبي على تفكيره ، وكان شغله الشاغل وبالرغم من أن التيجاني كان كثير الاطلاع إلا أنه لم يطلع على علوم الاقتصاد والسياسة والاجتماع وركز على كتب الأدب والتاريخ والتصوف.

ويرى هنرى رياض أن السبب في ذلك " يرجع إلى أن المجتمع الذي كان يعيش فيه ، قد مال إلى الأدب ميلاً كبيراً ، بأكثر من ميله للسياسة ، ولأن الاستعمار لم يكن يسمح بنشر الثقافة الحديثة في أرجاء السودان ، ولأن الصحافة كانت تخشى التطرق إلى المواضيع السياسية المواضيع التي كانت تشغل أذهان الناس في العالم الكبير أو الصراحة في مواجهة الاستعمار " [٢٩٥]

واستمر التيجاني مواصلا لدراسته في المعهد ، وممارسا لنشاطه الأدبي والثقافي، وبدأ يظهر نبوغه الأدبي ، ولاحظ ذلك زملاؤه ، وأساتذته ، ومدير المعهد ، " وظهرت ملامح النجابة والذكاء عليه ، وشاعت بين طلاب المعهد ومدرسيه ، وجعل شيخ المعهد الأول أبو القاسم أحمد هاشم يعجب بنجابة التيجاني وفرط ذكائه ، ولم تكن تطاوعه نفسه المتوثبة إلى المعرفة ، أن يقف مكتوف اليدين أمام ما يلقى عليه صباح مساء من

---

(٢٩٣) سجلات المعهد ، بواسطة الشيخ على سسيماوي ، ١٩٦٠ ، عن جاد الله الطاهر النذير ، التيجاني حياته وعصره وشعره ، ص ٧٥ .

(٢٩٤) نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ محمد الأمين الترابي الذي أشتهر بالميراث ، والشيخ محمد الأمين الضرير الذي أشتهر بالفقه والشيخ النذير الذي أشتر بالعقائد ، والشيخ العاقب الذي أشتهر بالنحو والبلاغة والشاعر الأديب الأستاذ حسين منصور الذي أشتهر بالرياضات ،وقد رعى التجاني في محاولاته الشعرية الأولى.

(٢٩٥) هنري رياض ، المرج السابق ، ص، ٢٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

زملائه الطلاب ومن أساتذته ، من الموضوعات الأدبية والدينية فكان يناقشها ويبدى فيها رأيه " [٢٩٦]

إن ملكة التيجاني وموهبته الشعرية قد تفتقت وهو لم يزل طالباً بالمعهد العلمي ، إذ نظم بعض القصائد ، وتبارى في النظم مع زملائه ، ومطارحة الشعر ، وخاصة مع محمد عبد القادر كرف ، والهادي عثمان العمرابي ، ومحمد عبد الوهاب القاضي .

وعلى الرغم من كل ماحدث له في المعهد إلا أنه ظل مخلصا له فخورا به معتزا بدوره الذي يلعبه وقد صاغ ذلك نثراً وشعراً ، وقد حدثنا التيجاني في مقاله (المعهد العلمي في ربع قرن) قائلا : " ذلك الاعتزاز الذي كان جميلا يوم ألقى إليّ صديقي الأستاذ العالم الجليل الشيخ إبراهيم يعقوب ، أن يدعو إلى الكتابة عن (المعهد العلمي في ربع قرن) وهو من الأبكار الذين خرجهم المعهد العلمي ... فليس بدعاً أن يحرص على أن يؤرخ للمعهد الذي نشّأه وسوى منه عالماً ينضج من غلة هذا البلد الظامئ وينشر بين أبنائه نور المعرفة والعلم والإيمان . لقد كان ذلك أقل ما نرقبه من إخواننا طلبة المعهد وخريجيه في وقت أحوج ما يكون المعهد فيه إلى حركة كهذه تحفظ له آثاره وتدعو له بين هذه الأمة التي يتداركها الله في وقت يجهل فيه بعض الناس أن في السودان معهداً علمياً خرّج حتى الساعة من علية القوم العلماء المحققين عشرات وعشرات وما تزال بين يديه الآن مئات العلماء من الشباب الذين ليس بينهم وبين هذا الشرف العلمي إلا أن تهبهم المشيخة أوراق الشهادات " [٢٩٧]

---

[٢٩٦] مقدمة ديوان إشراقة ، عبد المجيد عابدين ، ص ٦.

[٢٩٧] التيجاني يوسف بشير ،(المعهد العلمي في ربع قرن)، مجلة أم درمان ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، ٣١ أكتوبر ١٩٣٦، ص ١٢٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهكذا تتضح لنا العلاقة الحميمة بين التجاني ومعهده ، وحرصه على توثيق تاريخ المعهد خوفاً من الضياع والاندثار ، ويرى أن هذا العمل الجليل الضخم لا يستطيع أن يقوم به فرد بل يحتاج إلى لجنة تتوخى فيه الدقة والتحقيق " وفكرة الأستاذ إبراهيم ليست حديثة العهد ولاجديدة على الأسماع فلقد كان يتحدث بها إليّ قبل سنتين طالباً إليّ في ثقة الصديق الذي له بالمعهد نازع عرق أن أنهض بهذا العمل وحدي بعد أن أكون قد جمعت له من الوثائق والمعلومات ما يكفل لي القيام به على أتم أوجهه . وكنت أرى يومئذ أن يوكل هذا العمل إلى لجنة تبحثه وتتقرى جوانبه حتى تستوثق من صحة ما تكتب . معتمدة على الوثائق الرسمية المحفوظة بإدارة المعهد فيما يختص بالناحية الحكومية والأهلية منه وفيما يتعلق بإنشائه وكيف سار وكم يدا أسبق على هذا البلد وما إلى هذا مما يحفل به تاريخه المجيد " [٢٩٨]

وكيف لا يولى التيجاني المعهد جل اهتمامه ؟ وهو ابن سرحته الذي غنى به ، وهو محط عهد صباه ، الذي يحفظ له الود وحسن الصنيع ، وهو الذي ودع عهد صباه تحت ظلاله وكانت سنواته التي قضاها فيه من أجمل سنوات عمره :

السحر فيك وفيك من أسبابه دعة المدل بعبقري شبابه

يا معهدي ومحط عهد صباي من دار تطرق عن شباب نابه

ودعت غض صباي تحت ظلاله ودفنت بيض سني في محرابه

---

(٢٩٨) التيجاني يوسف بشير ، " المعهد العلمي في ربع قرن " ، مجلة أم درمان ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، ٣١ أكتوبر ١٩٣٦، ص ١٢٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو معهدي ولئن حفظت صنيعه فأنا ابن سرحته الذي غني به [٢٩٩]

ويبدو أن التيجاني كان عاتباً على طرق التدريس التقليدية التي كانت سائدة في المعهد ، وخاصة فيما يتعلق بالطريقة النمطية التي كانت تدرّس بها مادة النحو ، وهذا الاحتجاج إن دلّ على شيء إنما يدل على عقليتة التجديدية ، التي كانت تبحث دائماً عن الجديد المبتكر وعدم الوقوف عند الطريقة الواحدة بل تخطيها وابتداع طرق جديدة مواكبة لروح العصر ،وهذا ما لمسناه في قوله :

ولقيت من عنت " الزيود " مشاكلا وبكيت من " عمرو " ومن إعرابه [٣٠٠]

المبحث الثالث

الأثرالقرآني في شعره

القرآن بأسلوبه ولغته له تأثير على كل شاعر وناثر بدرجة ما ، بيد أن التيجاني يتميز بكثرة اقتباساته من الألفاظ القرآنية، بل إننا نجده في كثير من قصائده يحوم حول الأجواء القرآنية: في ارتباطه بالعبارة أو المضمون أو الأسلوب، و التيجاني قد حفظ القرآن في سن مبكرة ، وكان لذلك الأثر الكبير على لغته ، ففي لغة التيجاني كثيراً ما نقع على تركيب أو جملة مأخوذة من القرآن أصلاً، يسوقها في شعره كما هي بمعناها الأول أو في سياق جديد. وليس سبيلنا أن نذكر في كل استعمال كيف كان في القرآن وكيف غدا عند التيجاني إلا إذا وجدنا ضرورة تحتم ذلك. ومن أساليب القرآن المتنوعة وجدنا بعض الاستعمالات في شعر التيجاني جمعناها لنشير بأنه اقتبسها من القرآن الكريم .

---

(٢٩٩) التيجاني يوسف بشير ، يوان اشراقة، ص ، ٧٧ ، ٧٨.

(٣٠٠) التيجاني يوسف بشير ، يوان اشراقة، ص ، ٧٧ ، ٧٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونحن هنا لا نتحدث عن مواضيع القرآن في تناولنا المضمون، بل نقف عند الآية ذاتها، وكيف كانت عند التيجاني، ودليلنا إلى ذلك وجود كلمة أو أكثر توحي لنا بالأصداء القرآنية، وما من شك في أن الشاعر بكثرة استفادته من القرآن الكريم قد حافظ على جزالة اللغة ، واقترب من المألوف اللغوي . وقد بدا تأثير القرآن على التيجاني فيما يلي :

١- في الأسلوب.٢- في التعابير.٣- في المضمون. ٤- في الأجواء القرآنية. ٥- في ألفاظ قرآنية بارزة. ٦- في تكثيف الصورة . ٧- في الصورة اللونية.

١- *في الأسلوب :*

في القرآن أساليب مختلفة من تكرار ونداء واستفهام وتمنٍّ وإيجاز وحذف وغيرها، وإليك بعضاً من هذه الأساليب التي استعملها التيجاني :

أ- التكرار:

ظاهرة تلازم شعر التيجاني، ولها أصول في القرآن، وعلى سبيل المثال ما ورد في سورة الرحمن، ونحن هنا لا نجزم أنه استفاد التكرار من القرآن مباشرة، بل نؤكد أن أسلوب التكرار وارد كثيراً في القرآن، وربما كان له تأثيره على الشاعر. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِ آلاءِ رَبِكُمَا تُكَذِبَانِ * مُدْهَآمَّتَانِ * فَبِأَيِ آلاءِ رَبِكُمَا تُكَذِبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِ آلاءِ رَبِكُمَا تُكَذِبَانِ * فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِ آلاءِ رَبِكُمَا تُكَذِبَانِ**﴾[٣٠١] ونجد التكرار عند التيجاني في بعض المواضع فقد كرر هاذين البيتين ثلاث مرات في قصيدة الخرطوم :

وَهامَ فيها القَمَر الرافَه يَعزف مِن حين إلى آخر

(٣٠١) سورة الرحمن، آية ٦٢ - ٦٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قَصيدة أَلهمهـا الإلَه يَراعة الفَنان وَالشـاعر [٣٠٢]

ب ــ النداء: فقد أكثر التيجاني من استخدام أسلوب النداء متتبعا النسق القرآني ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ [٣٠٣]

فالتيجاني يقول :

يا أَرض فَاقتَصدي وَيا سُحب اِقصدي جَدث الطُفولة بِالعَريض الماطر [٣٠٤]

ج- الاستفهام والتكرار في أداته : فاقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السماءِ والأرضِ أمْ مَنْ يَمْلُكُ السَّمْعَ والأبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأمرَ..﴾ [٣٠٥]

مَن لِهَذا الأَنام يَحميه عَني قَلمي صارِمي وَطُرسي مَجني

إِنَّها ثَورة الحَياة فَمِن لِلكَو ن يَحميهِ مِن قَذائف رَعن [٣٠٦]

د- استعمال المفعول المطلق :

وهو عند التيجاني كثير نذكر منه :

وَالعَقل يَنصب مِن حَبائله نَصباً معاقدها مِن الشوك [٣٠٧]

---

(٣٠٢) التيجاني ، إشراقة ، ص ٢٤

(٣٠٣) سورة هود، آية ، ٤٤

(٣٠٤) التيجاني ، إشراقة ، ص ٩٢

(٣٠٥) سورة ، يونس آية ، ٣١

(٣٠٦) التيجاني ، إشراقة ، ص ٦٦

(٣٠٧) التيجاني ، إشراقة ، ص ٥٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما أكثر هذه الصيغة في القرآن الكريم وقد ورد في قوله تعالى : ﴿ إنّا فَتَحنْا لَكَ فَتْحًا مُبيناَ﴾ [٣٠٨] وحتى أن بعض الكلمات يكررها التيجاني كما هي:

﴿ أنَّا صَبَبْنا الماءُ صبًّا، ثُمَّ شَقَقْنا الأرْضَ شَقّا﴾ [٣٠٩] .

فيقول التيجاني :

إنَّهُ صانع القُلوب الَّتي تنصـــ ب في قالب المَحاسن صِبا [٣١٠]

ز - استعمال "مِنْ" الزائدة ، وتكون مسبوقة بنفي أو استفهام : كقوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُــونِ ﴾ [٣١١] والتيجــاني يســتعمل هــذا الأسلوب في مواضع كثيرة منها على سبيل المثال قوله: "

وَبِقَلبي نَظَرت اِشعاع ما يَبر ق مِن رِقة عَلَيكَ وَسُؤدد [٣١٢]

٢- *استعمال تعابير وتراكيب قرآنية :*

فالمثل الذي سقناه، " تنصب في قالب المَحاسن صبا " مأخوذ كلماته كما قلنا من القرآن ، وما أكثر ما يضمن التيجاني تراكيب قرآنية في شعره:

في يَميني يَراع نابِغَة الفصـــ حى وكُلُ امرئٍ رَهين يَراعه [٣١٣]

يبدو أنّ الشاعر نظر إلى الآية ﴿كُلُّ ٱمْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [٣١٤]

---

(٣٠٨) سورة الفتح الآية ١
(٣٠٩) سورة عبس الآية ٢٥
(٣١٠) التيجاني ، إشراقة ، ص ١٥١
(٣١١) سورة الذاريات ، آية ٥٧
(٣١٢) التيجاني المرجع السابق ، ص ٤٨
(٣١٣) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ٤٦
(٣١٤) سورة الطور، آية ٢١

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي القرآن: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [٣١٥] و ها هو التيجاني يقتبس من الآية السابقة :

ما لَها زَلزلت وَماجَت بِنا الأَر ض أَلم تَغتَمض عُيون القُبور [٣١٦]

ويقتبس التيجاني من قوله تعالى في كلامه مع موسى عليه السلام : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰمُوسَىٰ ﴾[٣١٧] فيقول :

وَما تلكَ في جَنَبات الطَريق قَذفت بِها كِانفِجار الحِمَم [٣١٨]

ويقول التيجاني:

ثُمَ أَوحى إِلَيهِ إِن قَد تَخَير تك هَدياً فَاصدَع بِأَمر القَدير [٣١٩]

فسرعان ما يتبادر إلى أذهاننا تركيب ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [٣٢٠]. تبين لنا مما سلف أن الشاعر يتناول التركيب القرآني ويدخله في نسيج شعره، ولم نلحظ فيما تتبعنا أنه اقتبس آية بكاملها ، كما عهدنا ذلك في بعض "الاقتباسات" البلاغية القديمة.

٣- في المضمون :

الشاعر يتأثر بمضامين القرآن، فهو يتحدث عن خلق الله للإنسان.. وكأنه يستذكر قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ من طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

---

(٣١٥) سورة الزلزلة، آية ١

(٣١٦) التيجاني ، إشراقة ، ص ١٨

(٣١٧) سورة طه ، آية ١٧

(٣١٨) التيجاني ، إشراقة ، ص ٨١

(٣١٩) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١٩

(٣٢٠) سورة الحجر ، آية ٩٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ * ﴾ [٣٢١]

فيقول التجاني:

تَبارَكَ الَّذي خَلَق مِن مُضغة وَمِن عَلَق

سُبحانَهُ مُصَوراً مِن حَمأة الطِين حَدق [٣٢٢]

والشاعر يرسم صورة خلق الإنسان كما وضحها القرآن الكريم فهو مخلوق من طين ، ويمر بمراحل قبل ولادته (نطفة فعلقة فمضغة ...) فقدم الشاعر المضغة على العلقة لضرورة القافية :

ويقول التيجاني في الرثاء :

فَاستَبق أَجرك فيهِ عِندَ مُهيمن حَسبي وَحَسبك مِنهُ أَجر الصابر [٣٢٣]

وهذا يذكرنا بقوله تعالى في جزاء الصابرين على المصائب : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوفْ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلأَمَوَالِ وَٱلأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ [٣٢٤]

ويقول التيجاني :

رَب في الإشراقَة الأُو لى عَلى طينة آدم

أَمَم تَزخَر في الغَيـ ـب وَفي الطِينة عالم

وَنُفوس تَزحـم الماء وَأَرواح تَحاوم

سَبح الخَلق وَسَبَحت وَآمَنت وَآمن [٣٢٥]

---

(٣٢١) سورة المؤمنون ، آية ١٢ - ١٤

(٣٢٢) التيجاني ، إشراقة ، ص ١٤٧

(٣٢٣) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ٩٣

(٣٢٤) سورة البقرة ، آية ١٥٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذه الابيات مستمدة من مضمون قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيٓ آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَافِلِينَ ﴾ [٣٢٦] وقال وهو يرجو رحمة الله التي وسعت كل شيء :

لِي رَجاء في رَحمة اللَه لَما وَسَعت في الحَياة ما لا يُطاق [٣٢٧]

وكأنه يشير على قوله تعالى:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [٣٢٨]

ويقول في قصيدته " الروح " :

الرُوح ما الرُوح إلّا طائر غَرَد لَهُ جَناحان مِن نور وَظَلماء

يا أَيُّها الرُوح كَم تدنو بِمَقرُبة وَأَنتَ أَبعَد مَن يوح وَعَلواء

لَأَنت صَعب عَلى الأُلى نَزَلوا مِن ظَهر آدم أَوجاؤوا بِحَواء [٣٢٩]

فالتيجاني يتأثر مباشرة بمضمون الآية التي تتحدث عن الروح : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّن ٱلْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [٣٣٠]

ويقول الشاعر عن الطفل الوليد :

مُفتَرِعاً مِن فَمه سر البَيان فَنَطَق [٣٣١]

فهو قد استذكر قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [٣٣٢]

---

[٣٢٥] التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٦

[٣٢٦] سورة الأعراف ، آية ١٧٢

[٣٢٧] التيجاني ، إشراقة ، ص ١٦٠

[٣٢٨] سورة الأعراف ، آية ١٥٦

[٣٢٩] التيجاني ، إشراقة ، ص ١٦٤

[٣٣٠] سورة الاسراء، آية ٨٥

[٣٣١] التيجاني ، إشراقة ، ص ١٤٧

[٣٣٢]) سورة الرحمن ، آية ٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكلمة (السماء) ارتبطت بكلمة (الرقي) في القرآن الكريم : ﴿ **أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ** ﴾ [٣٣٣] فلا عجب إذا رأينا استعمالها عند الشاعر.

فَاليَوم لا مَركَب الضُحى عسر وَلا مَراقي السَماء مُمتنعه [٣٣٤]

٤- *الأجواء القرآنية والإيحاء:*

لعل أبرز ما يوحي لنا بهذه الأجواء بعض الكلمات التي تشير إلى الصورة القرآنية، فعندما يقول الشاعر:

عوذوا الحُسن بِالرُقى أَو خُذوني أَنا تَعويذة لِكعبة روحي

عوذوا طفلها وَصُونوا فَتاها بجديد مِن الرقى أَو أَثير [٣٣٥]

فان كلمة "**عوذوا**" تستدعي تذكّرنا للمعوذتين "**الناس** " ﴿**قل أعوذ برب الناس** ﴾ [٣٣٦] " **والفلق** "(**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**)[٣٣٧] ويقول الشاعر:

قَبس مِن هُدى وَنُور وَاِشعا ع مِن الحَق مالَهُ مِن قِناع [٣٣٨]

فكلمة (قبس) تحيلنا إلى قول الله تعالى: ﴿**أنظُرونا نَقْتَبِسُ من نورِكُم**﴾ [٣٣٩]

وتفجير العيون وارد في القرآن بصيغة خبرية وكذلك أورده التيجاني : ﴿**وفَجَّرْنا فيها مِنَ العُيون**﴾[٣٤٠] وقوله تعالى :﴿ **وفَجَّرْنا الأَرْضَ عُيوناً فالتَقَى الماءُ**﴾ [٣٤١]فبدل العيون استخدم الشاعر لفظ الينابيع وهو يؤدى ذات المعنى :

---

(٣٣٣) سورة االاسراء ، آية ٩٣

(٣٣٤) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١٣٣

(٣٣٥) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ٤٠

(٣٣٦) سورة الناس آية ١

(٣٣٧) سورة الفلق ، الآية ١

(٣٣٨) التيجاني ، إشراقة ، ص ٦٣

(٣٣٩) سورة الحديد، آية ١٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَوَهَبنا لَكَ الحَياة وَفَجر نا يَنابيعها لِعَينيك قُربى [٣٤٢]

ويقول النيجاني :

أَنا إِن مُت فَالتَمسني في شعـ ري تَجدني مدثراً بِرقاعه [٣٤٣]

فنلحظ أن كلمة " مدثرا " توحي لنا بالآية الكريمة : ﴿ يا أيها المدثر ﴾ [٣٤٤]

يقول التيجاني :

حَتّى يَكون المَجد وَهُوَ مصوح في الأَرض مُنقَلب عَلى أَعقابه [٣٤٥]

ويقول أيضا "

في الشَرق تَنطلق القَرائح فَجة وَالشَرق مُنقَلب عَلى أَعقابه [٣٤٦]

وهو اقتباس من قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُـرَّ ٱللَّهَ شَيْئاً ﴾ [٣٤٧]

ويقول التيحاني :

الإِلَه العَظيـــــم وَالحَق أَكبر بَرأ الخَلق مِـــــن تُراب وَقَدَر

رب نَفس مِن عُنصر الفكر سِوا ها وَنَفس مِن حَمأة الطِـين صـور

[٣٤٨]

---

(٣٤٠) سورة يس ، آية ٣٤

(٣٤١) سورة القمر، آية ١٢

(٣٤٢) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١٥١

(٣٤٣) التيجاني ، إشراقة ، ص ٤٦

(٣٤٤) سورة المدثر آية ١

(٣٤٥) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ٧٨

(٣٤٦) التيجاني ، إشراقة ، ص ١٥٦

(٣٤٧) سورة آل عمران ،آية ١٤٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالتراب و "**والحمأ**" يتعلقان بخلق الإنسان:﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ مِن صَلْصَـالٍ مِّـنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** ﴾[٣٤٩]

ويقول التيجاني:

أَثقَلت ظَهره الأَمانة دَهراً يَعلَم اللَهُ كَيفَ عبء الأَمانة [٣٥٠]

وهذا مضمون قرآني من الآية: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأمانةَ علـى السـمواتِ والأَرْضَ والجِبالَ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها**﴾ [٣٥١] فالشاعر استعمل أداة الاستفهام ليبين حال من يقع عبء الأمانة على عاتقه ، وثقلها على ظهره في أشارة لطيفة إلى الآية السابقة .

٥- *ألفاظ قرآنية بارزة :*

ليس سبيلنا هنا أن نقف عند كل لفظة قرآنية، وإنما نقف عند بعضها، فكلمات مثل: الكوثر، الفردوس ، وخسف ، ولدن ، وغيرها كثير نميزها على أنها وردت في القرآن ...وتذكرنا بآيات قرآنية. وشاعرنا مولع بالألفاظ القرآنية كلفظة : (الفردوس) فيقول:

فَإِذا هَفت بِكَ أَن نعم مِن جانب الفَردوس أَسمعها تَحية شاعر[٣٥٢]

تارة يأتي بها مفردة وتارة يأتى بها جمعًا :

أَنتَ يا نَيل يا سَليل الفَراديس نَبيل مُوَفق في مَسابك (٣٥٣)

فانظر إلي ذلك الأثر في شعر التيجاني ، فالنيل سليل الفراديس أي أنه نهر من أنهار الجنة كما جاء في الحديث الصحيح " النيل والفرات

([٣٤٨]) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١٤

([٣٤٩]) سورة الحجر ، آية ٢٦

([٣٥٠]) التيجاني ، المرجع السابق ، ص١١٩

([٣٥١]) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢

([٣٥٢]) التيجاني ، إشراقة ، ص ٩٢

([٣٥٣]) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١٤٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسيحان وجيحان من أنهار الجنة " [٣٥٤] وجاء اللفظ في عدة آيات من القرآن الكريم منها : ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٣٥٥]. " والفِرْدَوْس: الرَّوْضة؛ والفِرْدَوْس: خُضْرة الأَعْناب. والفِرْدَوْسُ: حَديقة في الجنة [٣٥٦] ولفظ الكوثر من الألفاظ المحببة عند التيجاني :

وَجادَها المرهم وَالواكف بِالكَوثر الفَياض مِن أَنهره [٣٥٧]

وهو مأخو من قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [٣٥٨] وهو نهر في الجنة ـ حوض النبي صلى الله عليه وسلم ـ ترد عليه أمته .ومن المفردات القرآنية التي استخدمها الشاعر كلمة (لدن):

يَستَنزل الإِلهام مِن لَدن الَّذي بَرأ العصاميين مِن أَعتابه [٣٥٩]

فقد وردت في قوله تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [٣٦٠] من ذلك

لفظ (خسف) :

ما بِها إِن تَسام في الأَرض خَسفاً أَو تعادي في رَأيها أَو تكفر [٣٦١]

فقد ورد في قوله تعالى : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [٣٦٢] وكذلك لفظ (تبيد) من الألفاظ القرآنية التي استخدمها التيجاني :

([٣٥٤]) صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٣٤٠

([٣٥٥]) سورة المؤمنون ،آية ١١

([٣٥٦]) ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ص ج٦ ، ص ١٦٣

([٣٥٧]) التيجاني ، إشراقة ، ص ٢٤

([٣٥٨]) سورة الكوثر ، آية١

([٣٥٩]) التيجاني ، إشراقة ، ص ١٥٥

([٣٦٠]) سورة هود، آية١

([٣٦١]) التيجاني ، إشراقة ، ص ١٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أُحبك حتّى تَبيد السَماء وَيَبتَلع النيرات الأَبَد [٣٦٣]

يقول تعالى : ﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَداً ﴾ [٣٦٤]

واستعمال فعل الأمر (سل) على الطريقة القرآنية :﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾[٣٦٥]

فيقول التيجاني متأثراً تأثراً واضحاً بهذه الطريقة :

سَل هِزار الحَقل مِن أَنبـ تهُ وَرداً وَزَهـرا

وَسَل الوَردَة مَـن أَو دَعَها طيباً وَنَشـرا [٣٦٦]

٦ - **تكثيف الصورة** : وقد تاثر التيجاني بهذا الاسلوب القرآني في تكثيف الصورة كما في قوله تعالى : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ ﴾ [٣٦٧]

ويبدو تكثيف الصورة في قول التيجاني :

في دُجى مطبق وَيَوم دجوجي وَلَيل مقفقف مَقرور [٣٦٨]

وأيضاً في قوله :

---

(٣٦٢) سورة القصص،آية ٨١

(٣٦٣) التيجاني ، المرجع السابق ، ص٦١

(٣٦٤) سورة الكهف،آية٣٥

(٣٦٥) سورة البقرة،آية ٢١١

(٣٦٦) التيجاني ، المرجع السابق ، ص١٢٤

(٣٦٧) سورة النور، آية ٤٠

(٣٦٨) التيجاني ، إشراقة ، ص١٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في اللَيل عَمق وَفي الدُجى نَفق لَو صَبَ فيهِ الزَمان لابتلعه [٣٦٩]

٧ــ في الصورة اللونية :

كان للقرآن الأثر الكبير في تشكيل صورة التيجاني اللونية ، وهي صورة متميزة ، فاللون في شعره يحمل دلالات دينية ونفسية وفكرية عميقة ، وقد تناول الألوان الأخضر ، فالأبيض ، فالأسود ، فالأحمر ، فالخمري فالداكن على الترتيب . وهذا الجدول يرصد استعماله للألوان بحسب نسبها في ديوانه إشراقة:

اللون	عدد المرات
الأخضر	١٠
الأبيض	٩
الأسود	٦
الأحمر	٤
الخمري	١
الداكن	١

ولعلنا نلحظ أن اللون الأخضر هو المتفوق ويعزي الباحث هذا التفوق إلى تأثير البيئة الدينية التي نشأ فيها الشاعر، فاللون الأخضر عادة ما يعجب أهل الإسلام فيجعلونه رمزا للسلام والرخاء والفأل الحسن ، متأثرين في ذلك بمدلولات معانى الخضرة التي وردت في القرآن الكريم

(٣٦٩) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١٣٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وارتبطت بالطمأنينة والسعادة ، كما في قول الله تعالى : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴾ [٣٧٠] وفي قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً) [٣٧١] ومن ذلك قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[٣٧٢] « فأخرجنا منه خضرا » أي زرعاً وشجراً أخضراً ثم بعد ذلك نخلق فيه الحب والثمر (٣٧٣)

فانظر إلى هذه الصورة الرائعة التي يرسمها التيجاني ويلونها بالأخضر في الأبيات التالية فالنيل تكسوه الخضرة وتحتضنه الملائكة ذات الأجنحة الخضراء ، فاجتمعت في الصورة خضرتان ، خضرة النيل وخضرة أجنحة الملائكة ، فهو يلون لوحته بلون واحد ولكنها تبدو في قمة الحسن والبهاء.

أَنتَ يا نَيل يا سَلِيل الفَراديس نَبيل مُوَفق فـــــي مَسابك

حَضَنَتك الأَملاك في جَنة الخُــ لد ورَقت عَلى وَضيء عبابك

وَأَمدت عَلَيك أَجنِحَة خَضرا ء وَأَضفَت ثِيابَها في رِحابك [٣٧٤]

([٣٧٠]) سورة الإنسان ، الآية : ٢١ ــ ٢٢

([٣٧١]) سورة الكهف : ٣١

([٣٧٢]) سورة الأنعام : ٩٩

([٣٧٣]) ابن كثير ، تفسيرالقرآن ،مكتبة بيت السلام ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، ج٢ ، ص ٦٨٢

([٣٧٤]) التيجاني ، إشراقة ، ص ١١٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويصف الروح بالطائر الغرد الذي له جناحان من نور وظلماء ، ويغادر خضراء لخضراء فلنتخيل هذه الصورة الرائعة صورة الطائر ذو الجناحين المكونين من السواد والبياض ، وتحتضنه الخضرة إنها صورة بديعة تسلب الألباب ، وتأسر القلوب .

الرُوح ما الرُوح إلّا طائر غَرَد لَهُ جَناحان مِن نوروَظَلمـــاء

كَطائر الرَوض إلّا أَنَّهُ أَبَداً يَشدو هُنالك شَدو الحائر النائي

يَظَل يَهبط مِن دوح لمؤتلق وَقَد يُغادر خَضـــراء لِخَضراء [٣٧٥]

واللون الأبيض عند التيجاني يأتي بعد الأخضر مباشرة في الترتيب بفارق درجة واحدة ، ولعل هذا يعطينا مجالا للتفكير في التفاؤل والأمل القادم ، الذي ظل شعره يحمله في الغالب الأعم ، فرؤى الشاعر المتفائلة ملتفة في أجنحة بيضاء ، ويلبسن ثوبا جميلا :

كَم تَظَل الرُؤى بِهِ شارِعات في يَنابيع مِـن جَلال نَدي

يَتلففن في جَوانح بَيضـــا ء وَيَسحبن مِن رِداء وَضي [٣٧٦]

يقول الله سبحانه وتعالى :(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّـا الَّـذِينَ اسْـوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّـتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " [٣٧٧] فابيضاض الوجوه في هذه الآيات دليل على السعادة والسرور واسوادها دليل على الحزن والكآبة ويقول تعالى: (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ

([٣٧٥]) التيجاني المرجع السابق ، ص ١٦٤

([٣٧٦]) التيجاني ديوان إشراقة ، ص ١

([٣٧٧]) آل عمران : ١٠٦الآيات ــ ١٠٧

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ) [٣٧٨] أي من غير برص ولا أذى ومن غير شين [٣٧٩] ويقول تعالى:"**يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ ، بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ، لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ**" [٣٨٠] قال مالك عن زيد بن أسلم خمر جارية بيضاء أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدرة إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم وقوله عز وجل (**لذة للشاربين**) أي طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا .[٣٨١] ويتضح لنا جليا من خلال الآيات السابقة أن اللون الأبيض هو رمز السلام والأمل والسعادة والسرور .

وأجمل سنوات صبا شاعرنا التيجاني هي تلك التي قضاها في معهده العلمي فهي سنوات وصفها بأنها بيضاء دلالة على السعادة والهناء :

وَدَعت غَض صِباي تَحتَ ظِلاله وَدَفنت بيض سني في مِحرابه [٣٨٢]

ويصف قصائده بأنها براقة الضفاف بيضاء كاللآلئ ذات لمعان وبريق :

وَهِيَ بَراقة الضِفاف وَمَرمو قة بيض اللآلئ البَراقَه [٣٨٣]

ويأتي التيجاني بالصور التي تجمع بين اللونين الأبيض والأسود كهذه الصورة التي أراق فيها مزادته الملأى بالماء في صحراء ظامئة فانحدرت بيضاء كالروح دليل على الصفاء في صخرة سوداء ملساء صماء دليل على التعكير ، وهي صورة تعبر عن حالته النفسية المتأرجحة بين الصفاء والكدر :

([٣٧٨]) سورة النمل : الآية ١٢

([٣٧٩]) ابن كثير ، تفسير القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ،ط١ ، ١٩٩٧ ، ج٣ ، ص ٣١٤

([٣٨٠]) الصافات ، الآيات ، ٤٥ ،٤٦ ، ٤٧

([٣٨١]) ابن كثير ، تفسير القرآن ،مكتبة بيت السلام ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، ج٤ ، ص ١٥٧٦

([٣٨٢]) التيجاني ديوان إشراقة ، ص ٧٧

([٣٨٣]) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ٧

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غَررنَ بي وَبِحَسبي أَن راوِيَتي مَلأى هريقت عَلى ظَمَأى مِن البيد

أَفرَغتها وَبَرَغمي أَنَّها اِنحَدَرَت بَيضاء كَالروح في سَوداء

صَيخود [٣٨٤]

أما اللونين الأحمر والأسود فيستخدمهما في المفاجع ، فعندما يبكى عزيزاً عليه اختطفته المنايا يذرف الدموع الحمراء تعبيراً عن الأسى والحزن :

لَو لـــم أَكُن أَخشى أثاماً دونَهُ لَهَرقت مِـــن أَسَف عَلَيهِ محابِري

وَمَريت مِـــن عَيني آخر عبرة حَمراء حَتّى مـــــــــا أَكون بِقادر

وَتَلهبت ثوْر الأَســـى وَمَتى أَشا أَوقفت مِن فلك الزَمـــــــان الدائر

لَكن بِحَسب مُحَمَد مِـــن ذلكم دَمع القَريض وَدَمع ذات مَحاجِري[٣٨٥]

و يقرن بين المنايا والسواد :

لِلمَنايا السود آما لي وَلِلمَوت رَجائي [٣٨٦]

وذكر اللون الداكن مرة واحدة لأجنحة الأوز :

وَفي الضِفاف أَوزّ دكن الجَوانح كَثر [٣٨٧]

وكذلك اللون الخمري لشمس الخرطوم " الخمرية المشرقة " :

وَشمسها الخَمرية المُشرِقه تَفرغ كَأس الضوء في بَدرِها [٣٨٨]

---

(٣٨٤) التيجاني المرجع السابق ، ص ٢٢

(٣٨٥) التيجاني المرجع السابق ، ص ٩٢

(٣٨٦) التيجاني المرجع ا لسابق ، ص ١٢٦

(٣٨٧) التيجاني المرجع السابق ، ص ٤٢

(٣٨٨) التيجاني المرجع السابق ، ص ٢٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاتمة

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . وبعد

فإنه من خلال ما تقدم نستخلص من هذا البحث النتائج التالية :

١. أن أثر القرآن بارز في لغة التيجاني الشعرية من حيث الجزالة ، والمتانة ، والسلاسة .

٢. أن الشاعر التيجاني في تأثره بالقرآن أسلوباً ومضموناً وتراكيباً لم يقتبس على الطريقة البلاغية القديمة في الاقتباس – وذلك ، كأن ينقل الآية أو جزءاً منها كقول ابن الرومي:

لقد أنزلت حاجاتي بواد غير ذي زرع

بل كان يستفيد من القرآن وأساليبه ، ويستخدم هذه الاستفادة بعد هضمها باتجاه الآية ، أو بمعنى آخر ينشده .

٣. أثّر القرآن الكريم تأثيراً بالغاً على صورة التيجاني اللّونية فاستخدم الألوان التي أكثر القرآن من استخدامها لاسيما اللون الأخضر الذي يحبذه أهل الإسلام .

التوصيات :

١. ربط الدراسات والبحوث في الأدب عامة والأدب السوداني خاصة بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

٢. كتابة المزيد من الدراسات الأدبية والنقدية في الأدب السوداني لاسيما وأنه لم ينل حظا وافراً من هذه الدراسات .

والحمد لله رب العالمين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المراجع والمصادر

القرآن الكريم .

ابن كثير ، تفسير القرآن ،مكتبة بيت السلام ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٤

ابن كثير ، تفسير القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٩٧ .

صحيح مسلم .

ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ج٦ .

هنري رياض ، التيجاني يوسف بشير شاعرا وناثرا ، دار الثقافة بيروت ، لبنان .

التيجاني يوسف بشير ، إشراقة ، مطبعة التمدن بالخرطوم ، ط ، ٤ سنة ١٩٦٤

محمد عبد الرحيم ، نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع ، شركة الطباعة والنشر الخرطوم ، سنة ١٩٣٦.

محمد عبد الحي ، وآخر ، التيجاني يوسف بشير ، السفر الأول ، الآثار النثرية الكاملة ، مطابع راي لميتد ، سنة ١٩٧٨ .

إبراهيم التكينة ، التيجاني يوسف بشير أضواء على حياته ، ط ١ ، نوفمبر ١٩٧٥.

د. عبد المجيد عابدين ، التيجاني شاعر الجمال ، ط ٣ ، سنة ، ١٩٦٢ .

حسن نجيلة ، دراسات في شعر التيجاني ، التيجاني كما عرفته .

التيجاني يوسف بشير ، " المعهد العلمي في ربع قرن "، مجلة أم درمان ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، ٣١أكتوبر ١٩٣٦ .

جاد الله الطاهر النذير ن التيجاني حياته وعصره –وشعره ، رسالة ماجستير مخطوطة ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبد المجيد عابدين ، مقدمة ديوان إشراقة ، مطبعة التمدن بالخرطوم ، ط ، ٤ سنة ١٩٦٤

إبراهيم ناجي ، مهرجان ذكرى شاعر السودان التيجاني يوسف بشير ، " هذا هو التيجاني " القاهرة ١٤ مايو ١٩٤٦

مجلة أم درمان، العدد السابع ، الصادر في ١٩٣٦/١٢/١٥

التيجاني يوسف بشير ، الكسكتة ، مجلة أم درمان .

عبد المجيد عابدين ، مقدمة ديوان إشراقة،مطبعة التمدن بالخرطوم ،ط ٤سنة ١٩٦٤

التيجاني يوسف بشير ، مجلة الرسالة المصرية ، العدد ٧٨ ، مارس ١٩٣٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com